آراء وافكار

قوة الحافظة و كثرة المحفوظات

اذكر في هذه المجالة فريقاً من العلماء الاعلام الذين تؤثر عنهم قوة الحافظة وكثرة المحفوظات مثبتاً لهم هاتين الصفتين دون باقي صفاتهم واخبارهم التي هي من وظائف المؤرخين ونقلة الاخبار قاصداً بذلك الفات انظار ابناء المدارس والمكاتب الى ما في الحفظ من الفوائد والمقاصد فتثور هممهم الى اقتفاء آثار اولئك الرجال و يسيرون على مناهجهم في حفظ ما يمليه عليهم اساتذتهم ومعلوم خصوصاً منهم من رزقه الله حافظة قوية فعرف قدرها وما اضاعها بالانصراف عنها الى ما يضعفها من الانهماك بالاكل والشرب و باقي الملذات البدنية ولم يقارف شيئاً من مورثات النسيان على ما سنذكره قريباً .

ان ابناء المدارس الذين وهبهم الله قوة في حافظتهم هم اولى الناس بصرفها الى الحفظ والاكثار من المحفوظات لأن العائق الذي يعوق غيرهم عن استثمار هذه القوة « وهو الاشتغال بتحصيل المعاش » قد كفاهم اولياؤهم امره فلم يبق عليهم سوى القناعة باليسير والانصباب على حفظ ما يتلقونه من اساتذتهم وبذلك يحرزون شرف النبوغ في علومهم وينالون مزية التفوق على غيرهم ممن حرم هذه القوة اورزقها ولكنه لم يتوفق لاستخدامها .

وانني قبل الشروع بذكر الحفظة وبيان محفوظاتهم آتي على ذكر بعض فوائد لها علاقة بهذا الموضوع فأقول :

العلم ما يحفظ لا ما يكتب — .

قالوا : ليس بعلم ما حوى القمطر ... ما العلم الا ما وعاه الصدر

وقيل العلم في الصدور لا في السطور ، وقيل العلم ما استحضرته وانت في جانب جرن الحمام : يريد قائل هذا ان العالم الحقيقي هو الذي اذا تحدثته بمسألة علمية بدهك بالجواب الصواب غير قائل لك حتى اراجع الدفتر او الكتاب .

معنى الحفظ — . يقال حفظ القرآن : استظهره ووعاه على ظهر قلبه ومنه قول المحدثين عرض محفوظاته على فلان ، و يقال حفيظ وحافظ من قوم حفاظ وهم الذين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رزقوا حفظ ماسمعوه وقلما ينسون شيئاً بعونه . و يقال حافظٌ من قومٍ حفَظَة ككتاب وكتبة والحفظ نقيض النسيان وقلة الغفلة . و يقال رجل حُفظة كهمزة اي كثير الحفظ . ومن المجاز قرأه عن ظهر القلب اي قرأه حفظاً بلا كتاب . و يقال حمل فلان القرآن على ظهر لسانه كما يقال حفظه على ظهر قلبه . واستظهر القرآن اي حفظه وقرأه ظاهراً . ومن المجاز ايضاً ظهرت على القرآن واظهرته اذا قرأته على ظهر لساني .

عناية السلف بحفظ الحديث واللغة — كان السلف يتبارون بحفظ الحديث واللغة و يرون ان النبوغ فيهما غير متاح الا لمن يحفظهما باسانيدهما . وكان حفاظهما يملونهما في مجالس لم يحضرها اولو العناية بهما و يكتبونها عنهم . وقد املى حفاظ اللغة والادب من المتقدمين الكثير فاملى كل من ثعلب وابن دريد مجالس كثيرة واملى ابو محمد القاسم ابن الانباري وولده ابو بكر ما لا يحصى . واملى ابو علي القالي خمس مجلدات واملى الشريف المرتضى كتاب الغرر والدرر املاه في مجالس على فنون من المعاني والادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك . وآخر من املى في اللغة ابو القاسم الزجاجي سنة ٣٣٩ : اما املاء الحديث فقد استمر الى سنة ٨٧٢ ثم انقطع .

على ان العلماء الذين اكثروا من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون كصاحب الاغاني والغزالي والزمخشري وابن تيمية والجلال السيوطي — هم ليسوا دون اصحاب الامالي في قوة الحافظة و كثرة المحفوظات بل هم باعتبار كثرة مؤلفاتهم جديرون ان تعد مراتبهم في قوة الحافظة و كثرة المحفوظات فوق مراتب اصحاب الامالي فان مؤلفات كل واحد منهم على انفراده قد تضاهي بحجمها وعظمها جميع كتب اصحاب الامالي وقد نقلها الى القرطاس من خزانة حافظته صفواً عفواً كاصحاب الامالي لا من الكتب المحفوظة في خزانته اذ العقل يحيل ان تتسع ايام حياته لتأليف تلك الكتب الكثيرة اذا لم يكن مستظهراً لها بان كانت مسألة منها لم يفرغها في قالب التأليف الا بعد ان يبحث عنها في مظانها من الكتب المحفوظة في خزانته .

فاننا نرى في المؤلفات المنسوبة الى الجلال السيوطي مثلاً — ان مجرد نسخها و كتبها مما تضيق عنهما ايام حياته فكيف يمكننا والحالة هذه ان نصدق إن كانت غير محفوظة له أن تتسع لتأليفها ايام حياته اذ كان كل كتاب منها لم يتم له تأليفه الا بعد ان راجع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن مسائله الكتب المختصة كما هو الحال والشأن مع احدنا اذا اراد ان يكتب في موضوع ما .

اهتمام ائمة اللغة بحفظ غريبها — . كان المشتغل باللغة لا يرى نفسه اهلاً لان يدعى لغوياً حتى يحفظ منها الغريب ، روى صاحب كتاب نفح الطيب عن محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض انه سئل عن لغة فعجز عنها بحضرة من خجل منه فأقسم ان يقيد رجليه بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ كتاب (الغريب المصنف) فاتفق ان دخلت عليه أمه وهو في تلك الحالة فارتاعت وقالت له هل جننت فقال :

روعت عجوزي أن رأتني لابساً حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت فقلت بل هي همة هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها اني لما سن الكرام تبوع

قلت (الغريب المصنف) كتاب الفه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب غريب الحديث وكتاب غريب القرآن . واما قوله سن الفرزدق الخ فقد اشار بذلك الى ما فعله الفرزدق لما اراد حفظ القرآن فانه قيد رجليه بقيد من حديد ولم ينزعه حتى حفظ القرآن .

ما يجب على الحافظ مراعاته — . يجب على الحافظ ان يستوعب في حافظته ما يريد حفظه بلفظه ولا يجوز له ان يستوعبه بمعناه دون لفظه الا اذا كان عارفاً بمواقع الكلام قادراً على ان يأتي بلفظ مرادف للفظ الاصلي مساوٍ له في المعنى جلاءً وخفاءً من غير زيادة في المعنى ولا نقص فان المقصود هو المعنى دون اللفظ ، وهذا في غير القرآن واللغة فان حافظهما لا يجوز له ان يحفظ فيهما المعنى دون اللفظ لان الغرض فيهما هو اللفظ بعينه .

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يفهم معنى ما يحفظ والا كان كالببغاء تنطق بما تلقن من الكلمات ولا تفهم لها معنى او كان كالرجل الذي يقال عنه أنه كان يحفظ كتاب الروض للمقري ولا يفهم لمسائله معنى فكان الطلبة يقترحون عليه قراءة بعض فصول منه فيقرؤها ويحصلون منها على بغيتهم وهو لا يفقه معنى ما قرأه عليهم فصاروا يسمونه حمار الروض اخذاً من آية (فمثله كمثل الحمار يحمل اسفارا) والى هذا اشار بعض الصوفيه بقوله :

حمار العنب ايش معناه حامل ثقيل الاراطل
غير متلذذ بحلواه وهو حامل الحمل باطل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال مروان بن ابي حفصة يذم قوماً استكثروا من رواية الاشعار من غير تفهم ما فيها من المعاني واللطائف :

زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيّدها الا كعلم الاباعر
لعمرك مايدري البعير اذا غدا باوراقه او رأح ما في الغرائر

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يكرر ما يحفظه كي لا ينساه فان ترك التكرير من اكبر موجبات النسيان فقد قيل آفة العلم النسيان واعظم بواعث النسيان الترك . قيل للاصمعي كيف حفظت ونسي أصحابك قال درست وتركوا .

مورثات النسيان . — يروى عن سيدنا علي بن ابي طالب انه قال : عشرة تورث النسيان كثرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل الكسفرة واكل سؤر الفأر وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشي بين القطارين والقاء القملة حية اه . كان السلف يعتقدون صحة هذه الاسباب ويتجافون عن اتيانها وان كانوا يعجزون عن تعليل تأثير بعضها اذ لا مجال للعقل في ادراك ما هو الارتباط الكائن بين القوة الحافظة وبين البول في الماء الراكد واكل سؤر الفأر والقاء القملة حية وقد عد قوم في جملة مورثات النسيان — الاكثار من تناول الحوامض والنظر الى مايجب ستره واطالة النظر في النجوم .

قلت لا بأس ان يضاف الى هذه المورثات ما قد يكون اعظم منها تأثيراً في الحافظة وهي البطنة و يقال لصاحبها البطن وهو الأشر المتمول ومن همه بطنه او الرغيب الذي لا ينتهي من الاكل كالمبطان فقد قيل : البطنة تذهب الفطنة ، ومن تلك المورثات الافراط في الباهة فانه يضعف الدماغ و ينقص مادته ، ومنها ادمان المسكرات والمخدرات على اي صفة كان تعاطيها ومن اي نوع كانت حتى السعوطات والتدخين بالتبغ ، ومنها كثرة النوم فانها تورث الخمول وتبلد الفكر ، ومنها حبس الذاكرة وصرفها بكليتها الى الاشتغال باحراز المال وطلب الرياسة فان المتدهور في هذه الهاوية السحيقة لو كلفته حفظ حديث او بيت واحد لأظهر لك العجز عن حفظه .

ومنها وهو اعظمها بل هو الكل في الكل في توريث النسيان — الهم ولاسيما مايتوالى منه كل يوم على العائل المملق وما يعانيه من الضنك والكرب في سبيل الحصول على معاش عياله ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك هو السبب الاقوى في طمس الواج الفكر والفتك في القوة الحافظة والاغارة على ما اكتنز فيها من جواهر العلوم والفهوم فقدنقل عن الامام الشافعي قوله : (لو كلفنا بصلة ما تعلمنا مسألة) .

قوة الحافظة موهوبة لا مكسوبة — . قوة الحافظة منحة ربانية يخص الله بهـا من يشاء من عباده فهي كباقي المواهب الطبيعية لاتنال بالسعي ولاتدرك بالارادة .

لايكبر على القارئ تصديق ما سنورده في اخبار اقو ياء الحافظة وكثرة محفوظاتهم فيقول ان هذا الا من مبالغة المؤرخين ومجازفات نقلة الاخبار بل يعتقد ان للطبيعة خوارق تتخذ لها مظاهر في كل زمان ومكان وان الذين اختصوا بهذه المكنة العظيمة في التاريخ الاسلامي انما امتازوا باستثمارها على غيرهم بما كانوا عليه من صفاء القرائح و بساطة المعيشة وصدق العزيمة وصميم الاعتقاد بحسنى العقبى فلم يسلطوا على تلك المكنة مايضعفها ولا فارقوا شيئاً من موروثات النسيان بل تجافوا عنها جدالتجافي واعظم مااستعانوا به على صيان موهبتهم هذه تجردهم من حب الدنيا وهجرهم الملذات البدنية وايثارهم الكمالات النفسانية واستجلاء العلوم على كل لذة فتسوغوا بالعفاف وتبلغوا بالكفاف .

يحكى ان اباحامد الاسفراييني الذي انتهت اليه في وقته رئاسة الدين والدنيـا كان يعيش عيشة الكفاف ، يحرس في درب و يطالع على زيت الحراسة و يعيش من اجرها ، وان ابن حمدويه علي بن احمد الامام اليزدي كان له عمامة وقميص بينه وبين اخيه اذا خرج هذا قعد هذا واذا قعد هذا خرج هذا ، وان ابانصر محمد الفسارابي كان قانعاً باليسير من الرزق كان في اول امره ناطور بستان في دمشق وهومع هذا ملازم للاشتغال ليله ونهاره فكان في اكثر لياليه يستضيء على المطالعة بقنديل الحارس وأراد سيف الدولة أن يوسع عليه فلم يقبل سوى اربعة دراهم فضة في اليوم ، وكان عبدالرحمن بن محمد الانباري لايعتريه تصنع ولايعرف السرور ولا أحوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرتهما نصف دينار في الشهر يقتنع به و يشتري منه ورقاً ولايوقد عليه ضوء وتحته حصير فصب وعليـه ثوب خلق ولايخرج من بيته الا يوم الجمعة وسير اليه المستضيء خمسمائة دينار فردها فقال له اجعلها لولدك فقال : ان كنت خلقته ارزقه . وكان محمد بن القاسم الانباري لايأكل الا البقول ولايشرب الا قرب العصر مراعاة لحفظه وسيأتي ذكرهما . ولو أردت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استقصاء ذكر أمثال هؤلاء المنقشعين في معايشهم إيثاراً للذة العلم على كل لذة. لا تسع لنا المجال وأفضى بنا الحال الى الملال .

* * *

وهنا أشرع بذكر العلماء الحفظة الذين وعدت بذكرهم في افتتاح هذه المقالة : أبدأ بتسطير سنة وفاة احدهم ثم اتبعها بالكلام على سرعة حفظه وما يؤثر عنه من المحفوظات : مقتصراً على ذكر أشهر مشاهيرهم مضرباً عن ذكر من نقل عنه انه كان يحفظ كتاباً او كتابين فان الإحاطة بذكر هؤلاء مما يملأ مجلداً ضخماً يجدر ان يؤلف على حدته فأقول :

(سنة ٦٨) عبدالله بن عباس : يحكى عنه في قوة الحافظة انه استنشد عمر بن ربيعة القرشي شيئاً من شعره فأنشده قصيدته التي اولها :

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غدٍ ام رائح فمهجّر

وهي تعد ثمانين بيتاً فاعترض عليه احد الحاضرين بقوله : أنضرب اليك اكباد الابل تسألك عن الدين و يأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فقال عبدالله ما سمعت سفهاً فقال المعترض :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيخزى واما بالعشيّ فيخسر

فقال ابن عباس ما هكذا قال وانما قال (فيضحى واما بالعشي فيخصر) قال المعترض اوَ تحفظ الذي قال قال والله ما سمعتها الا ساعتي هذه ولو شئت ان أوردها لأوردتها وأنشده اياها كلها .

(سنة ١١٧) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاعمى : كان يضرب به المثل في حفظه قال ما قلت قط لمحدث أعد عليّ « وما سمعت أذناي شيئاً الا وعاه قلبي » قال الامام احمد بن حنبل في حقه : قتادة عالم بالتفسير و باختلاف العلماء ثم وصفه بالفقه والحفظ وقال فلما نجد من لقدمه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها .

قلت لا نجد ما نشبه به أدمغة من عرفوا بحفظ ما يلقى اليهم من الكلام من سمعة واحدة كعبدالله بن عباس وقتادة وابي تمام والمتنبي والمعري — الا بقرص الآلة المعروفة عندنا بالسماعة او حافظة الصدى (الفونغراف) فان ذلك القرص شبيه بادمغة اولئك من جهة حفظه ما يلقى اليه من الكلام من سمعة واحدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٥٥) حماد الراوية : قال له الوليد بن يزيد الاموي — بما استحققت هذا الاسم فقال لاني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف بانك لا تعرفه ولاسمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولاحديثاً الاميزت القديم من الحديث ، فقال له فكم مقدار ماتحفظ من الشعر قال كثير . ولكنني انشدك على كل حرف من حروف الهجاء مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه و يستوفي عليه فأنشده الفين و تسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

(٢٠٦) الامام محمد بن ادريس الشافعي : كان يحفظ الكثير الوافر من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله واختلاف أقاويل العلماء وكلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه اشعار الهزليين : قال الامام الشافعي قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطأ فقال لي احضر من يقرأ لك قلت انا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظاً . وحفظ الشافعي خمسة وعشرين حديثاً حدث بها مالك في جلسة واحدة ، وحفظ كتاب الاوسط لابي حنيفة في ليلة واحدة .

(٢١٧) عبد الملك المعروف بالاصمعي : كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وحضر مرة في مجلس الحسن بن سهل وكان يوقع في رقاع للناس في حاجاتهم وكانت خمسين رقعة وبعد ان وقع بها كلها اخذ يتذاكر مع من حضر مجلسه في الحفظ والحفظة فالتفت ابو عبيدة وكان من جملة الحاضرين وقال للحسن ما معناه — هنا من يقول ما قرأت كتاباً قط فأحتاج ان اعود فيه ولادخل قلبي شيء نخرج منه فقال الاصمعي الى الحسن — ايها الامير ان ابا عبيدة يريد بي بهذا القول وقد صدق فان الامير قد نظر فيما نظر من الرقاع وانا اعيد من حفظي مافيها وما وقع بها الأمير على كل رقعة منها فأحضرت الرقاع ليعارض بها ما يقول فقال الاصمعي — صاحب الرقعة الاولى قال كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل أبق على نفسك من العين فكف الاصمعي .

(٢١٩) ابو بكر الحميدي بن حميد : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٣١) حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام : كان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره : قيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، وكان يحفظ القصيدة الطويلة متى سمعها مرة واحدة ، وانشد البحتري قصيدته التي اولها « أأفاق صب من هوى فأفيقا » وكان ابو تمام حاضراً فحفظها كلها وهي تبلغ نحو سبعين بيتاً وقصتها مشهورة مذكورة في ترجمته .

(٢٤١) الامام احمد بن حنبل : كان يحفظ الف الف حديث وعن ابي زرعة انه احرز كتب احمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه .

(٢٥٦) الامام اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المنسوب اليه : كان آية في الحفظ والضبط وبلغ ما حفظه في صباه سبعين الف حديث ثم بلغ حفظه بعد ذلك مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح ، وامتحن حفظه جماعة من اهل الحديث فجمعوا مائة حديث وقلبوا متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا لاسناد الآخر والقوها عليه واحداً بعد واحد وهو يسمعها ويتجاهل بمعرفتها حتى اذا فرغوا من القائها طفق يجيب عنها واحداً بعد واحد فرد كل حديث منها الى اسناده الصحيح وكل اسناد الى متنه فأقر له الناس بالحفظ والضبط واذعنوا له في الفضل .

(٢٦٤) اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : قال احمد بن حنبل في حقه — عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحق . قال اسحق احفظ سبعين الف حديث واذاكر بمائة الف حديث وما سمعت قط شيئاً الا حفظته ولا حفظت شيئاً قط فنسيته . واملى على جماعة من اهل العلم احد عشر الف حديث من حفظه ثم قرأها عليهم فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .

(٣٠٢) يونس بن حبيب النحوي : قال ابو عبيدة معمر بن المثنى — اختلفت الى يونس اربعين سنة أملأ كل يوم الواحي من حفظه .

(٣٠٨) عبد الله بن محمد المكفوف القيرواني : كان يجلس مع حمدونة النجمة في مكتبه فربما استعار بعض الصبيان كتاباً فيه شعر او غريب او شيء من اخبار العرب فيقتضيه صاحبه اياه فاذا ألح عليه أعلم عبدالله فيقول له أقرأه علي فاذا فعل قال أعده ثانية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يقول له رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أمليه عليك .

(٣٢١) محمد بن الحسن بن دريد اللغوي : كان واسع الرواية لم ير احفظ منه وكانت دواوين العرب تقرأ عليه فيسابق الى اتمامها من حفظه .

(٣٢٨) محمد بن القاسم الانباري النحوي : كان اكثر الناس حفظاً في الادب قال ابوعلي القالي — كان محمد الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم وقيل له قد اكثر الناس في محفوظاتك فكم تحفظ قال أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها .

(٣٥٤) احمد بن الحسين ابوالطيب المتنبي : كان سريع الحفظ وقف مرة على وراق فجاء رجل ومعه كتاب للبيع فأخذه المتنبي من يده وطفق يقرأه فقال له صاحبه ادفع الكتاب للوراق وبعد ان يشتريه مني خذه منه واقرأه فدفع المتنبي الكتاب للوراق وقال له لم يبق لي به من حاجة فاني قد حفظته ومر بتلاوته حتى أتى على آخره .

ومما يدل على كثرة حفظه كثرة نقله اللغة واطلاعه على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شيء الا و يستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال في الحال حجلى وظربى قال الشيخ ابو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد .

(٣٥٦) علي ابوالفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني : قال التنوخي في حقه : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم — ابوالفرج الاصبهاني يحفظ من الشعر والاغاني والآثار والاحاديث المسندة والنسيب ما لم ار قط من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من العلوم الأخر اللغة والنحو والخرافات و السير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم .

(٣٥٦) اسماعيل ابوعلي القالي صاحب الآمالي المنسوبة اليه وقد أملاها من حفظه وله غيرها من المؤلفات الكثيرة التي أملاها من حفظه ايضاً .

(٣٨٥) علي بن عمر المعروف بالدارقطني : كان يحفظ ديوان السيد الحميري الذي يشتمل على الفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم فقط سوى القصائد الاخر المنظومة في بقية المعاني ومدائح الناس وهجوهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٣٩٣) محمد ابو بكر الخوارزمي : يحكى عنه انه قصد الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابه « قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن بالدخول » فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك فقال ابو بكر ارجع اليه وقل هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه فقال الصاحب « هذا يكون ابابكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول فدخل عليه فعرفه .

(٣٩٨) احمد بن حسين المعروف بالبديع الهمذاني : كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها غير مرة واحدة فيعيدها من حفظه مقلوبة وهي تربو على خمسين بيتاً وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يهزها على ظهر قلبه : يحكى انه لما دخل نيسابور اعجب بنفسه وانكر على الناس قولهم « فلان الحافظ في الحديث » ثم قال وحفظ الحديث مما يذكر « فسمع به محمد بن عبدالله بن حمدو به الحاكم الضبي المتوفى سنة ٤٠٥ فوجه اليه بجزء من الحديث واجّله في حفظه جمعة فرد الجزء بعد جمعة وقال من يحفظ هذا محمد بن فلان وجعفر بن فلان عن فلان اسامي مختلفة والفاظ متباينة » فقال له الحاكم فاعرف نفسك واعلم ان حفظ هذا اضيق مما انت فيه .

(٤٣٩) محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز : كان اكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه من لسانه من غير صحيفة يرجع اليها حتى قيل انه املى من حفظه ثلاثين الف ورقة من اللغة ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد تواطأت على وضعه فيجيب عنه ثم يترك سنة و يسأل عنه فيجيب عنه بذلك الجواب بعينه .

(٤٤٩) احمد ابو العلاء المعري : يذكر المؤرخون في قوة حافظته اخباراً كثيرة ربما كان بعضها مما يحيله العقل وقد اقتصرت منها على حكاية واحدة يسهل تصديقها ولا سيما ان راويها ثقة معروف وهو الامير أسامة بن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فجلست يوماً عنده فقال لي قد خبأت لك خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ ، قلت وما هي قال صبي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في ايام قلائل عدة كتب وذلك اني اقرأ عليه الكراسة والكراستين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرة واحدة فلا يستعيد الا ماشك فيه ثم يتلو عليّ ماقد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له قلت فلعله يكون محفوظاً قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو اعظم ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقة مجدر الوجه على عينيه قلبلا وهو يتوقد زكاء يقوده رجل طويل من الرجال احسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن ياولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب ان تحفظ اليوم مايختاره لك فقال سمعاً وطاعة فيختار ما يريد ، قال ابن منقذ فأخترت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يموج و يستزيد فاذا مر بشيء يحتاج الى تقريره في خاطره يقول اعد عليّ هذا فأردده مرة اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد على كراسة ثم قلت له يقنع من هذا من قبل نفسي قال اجل حرسك الله قلت كذا وتلا عليّ ما املبته عليه وانا اعارض بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت الى حيث وقفت عليه فكاد يذهب عقلي لما رأيت منه وعلمت انه ليس في العالم من يقدر على ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقيل لي هذا ابو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى .

(٤٥٨) علي بن احمد بن سعيد اللغوي المعروف بابن سيده الضرير : قال في حقه ابو عمر الطلمنكي — دخلت مرسية فتشبث بي اهلها ليسمعوا عليّ كتاب (الغريب المصنف) فقلت لهم انظروا من يقرأ وانا امسك كتابي فأتو برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه من اوله الى آخره حفظاً من قلبه فتعجبت منه .

(٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين : كان يحفظ اثنتي عشرة الف ورقة من كلام القاضي ابي بكر .

(٥٠٣) محمد بن عباس الخوارزمي : كان يحفظ شرح المهذب لابي بكر الصيدلاني في مجلدات ويحفظ تفسيراً لثعلب جميعه .

(٥٠٥) محمد بن محمد المعروف بالغزالي : كان يحفظ جميع ما علقه في مؤلفاته الكثيرة فلا حاجة للتطويل في ذكر محفوظاته .

(٥٤٤) محمد بن مروان الاشبيلي الاندلسي : كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب .

(٥٨٠) الخضر بن ثروان التوماثي : كان يحفظ المجمل وشعر الهزليين واخبار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصمعي ورؤبة والعجاج وذي الرمة وغيرهم من المخضرمين واهل الجاهلية والاسلام .

(٥٨٩) السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي : كان يحفظ القرآن وكتاب التنبيه في الفقه وشعر الحماسة .

(٥٩٥) القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني : وهي المنظومة اللامية العجيبة في فن القراآت السبع كان يقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ فتصحح النسخ من حفظه ويملي النكت على المواضع التي تحتاج اليها ولما دخل مصر قال انه يحفظ وقر بعير من العلوم بحيث لو نزل عليه ورقة لما احتملها .

(٧٢٤) احمد بن ابراهيم الكناني العسقلاني : كان يحفظ مختصر الخرقي في الفقه وألفية ابن مالك والطوالع للبيضاوي والشذور والملحة وحفظ نصفها في ليلة واحدة ويحفظ غير ذلك من الكتب التي كان يعرضها على علماء عصره .

(٧٢٨) الامام احمد بن تيمية له من المؤلفات المفيدة مايربو على اربعمائة كتاب كلها كان يمليه من خزانة فكره ويغترفها من بحار معرفته وكان الناس يبهتون من كثرة حفظه فهو حقيق ان يعد امام الحفاظ في العالم الاسلامي .

(٧٩١) ابراهيم المعروف بابن مسافر : كان يحفظ القرآن والعمدة والألفية ومنهاج البيضاوي وكتاب التدريب ومنهاج النووي وعرض محفوظاته على علماء عصره .

(٨١٧) محمد بن يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط كان سريع الحفظ وكان يقول لا انام الا واحفظ مائتي سطر ومما يدل على قوة حافظته اتيانه برديف لكلام علي بن ابي طالب على الفور لما قصد علماء الروم امتحانه فسألوه عن قول علي لكاتبه (الصق روانفك بالجبوب الخ) .

(٨٣٣) محمد بن محمد الجزري : يحفظ القرآن والشاطبية والرائية وكتاب التنبيه لابي اسحق والفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وتلخيص المفتاح ومنهاج البلقيني والفية العراقي وعرض محفوظاته على شيوخ عصره .

(٩٠٠) حسن بن علي الحلبي المعروف بالسيوفي : يحفظ القرآن ومنهاج النووي والارشاد لابن المقري والفية العراقي والسيرة النبوية ومنهاج البيضاوي في اصول الفقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشاطبية و كافية ابن الحاجب الفية ابن مالك الطوالع للبيضاوي في الاصول والشمسية في المنطق وتصريف العزي .

(فريق من الحفظة الذين لم اهتد الى تاريخ وفياتهم) — منهم الهيثم بن احمد بن غالب قال في كتاب نفح الطيب : كان آية في الحفظ وكان يحفظ ديوان ذي الرمة واختبره جماعة من الادباء في الحفظ فاقترحوا عليه ان ينشدهم شعراً قافيته (قاف) فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلي يأرق) وممتاره قد نام بعضهم وبعضهم قد مل وسئم وهو لم يفارق قافية القاف .

ومنهم الشيخ محمد التونسي الشهير بالغوثي قال في الشقائق النعمانية انه كان يحفظ المطول مع حواشيه وشرح المطالع للرازي والتلويح شرح التوضيح وشرح مختصر بن الحاجب للعضد وحواشيه والكشاف مع حواشي الطيبي .

ومنهم حميد الدين بن افضل الدين الحسيني قال في كتاب الشقائق : قال محيي الدين اللنازاني في حقه انه قرأ عليه مدة طويلة وشهد له بانه لم يجد مسألة من المسائل الشرعية والعقلية الا وهو يحفظها قال ولو ضاعت كتب العلوم كلها لامكن ان يكتبها من حفظه .

ومنهم مصلح الدين مصطفى الشهير بالبغل الاحمر قال في كتاب الشقائق : حكى عنه احد تلامذته انه كان يحفظ جميع المسائل بجميع العلوم وقال ماذكرت عنده مسألة من الفنون الادبية والعقلية والشرعية الاصلية والفرعية الا وهي في حفظه بالفاظها وعباراتها حتى انه كان يعرف اختلاف النسخ . وغضب يوماً من بعض الطلبة لعناده في مسألة فقال ما من مسألة من كتاب المقصود في الصرف الى الكشاف للزمخشري الا وهي في خاطره قال صاحب الشقائق وكلامه هذا صادق لا ريب فيه .

وهنا أستوقف اليراع عن اذاعة ما يكنه في حافظته من اسماء اقوياء الحافظة وكثيري المحفوظات الذين لو اطلقت اليراع في حلبة بيان اسمائهم لضاقت عن جريه صفحات المجلة وانما اكتفي الآن بايراد هذه النبذة عملاً بما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك كله) .

حلب : كامل الغزي
عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net